الحبّ والبترول

نزار قباني

متى تفهم ؟
متى يا سيّدي تفهم ؟
بأني لست واحدةً كغيري من صديقاتك
ولا فتحاً نسائياً يضاف إلى فتوحاتك
ولا رقماً من الأرقام يعبر في سجلاتك ؟
متى تفهم ؟
متى تفهم ؟
أيا جملاً من الصحراء لم يلجم
ويا من يأكل الجدري منك الوجه والمعصم
بأني لن أكون هنا..
رماداً في سجاراتك
ورأساً بين آلاف الرؤوس على مخداتك
وتمثالاً تزيد عليه في حمى مزاداتك
ونهداً فوق مرمرها..
تسجل شكل بصماتك
متى تفهم ؟
متى تفهم ؟
بأنك لن تخدرني..
بجاهك أو إماراتك
ولن تتملك الدنيا..
بنفطك وامتيازاتك
وبالبترول يعبق من عباءاتك
وبالعربات تطرحها على قدمي عشيقاتك
بلا عددٍ..
فأين ظهور ناقاتك
وأين الوشم فوق يديك..
أين ثقوب خيماتك
أيا متشقق القدمين..
يا عبد انفعالاتك
ويا من صارت الزوجات بعضاً من هواياتك
تكدسهن بالعشرات فوق فراش لذاتك
تحنطهن كالحشرات في جدران صالاتك
متى تفهم ؟
متى يا أيها المتخم ؟
متى تفهم ؟

بأني لست من تهتم
بنارك أو بجناتك
وأن كرامتي أكرم..
من الذهب المكدّس بين راحاتك
وأن مناخ أفكاري غريبٌ عن مناخاتك
أيا من فرخ الإقطاع في ذرات ذراتك
ويا من تخجل الصحراء حتى من مناداتك
متى تفهم ؟
تمرغ يا أمير *النفط*..
فوق وحول لذاتك
كممسحةٍ..
تمرغ في ضلالاتك
لك البترول..
فاعصره على قدمي خليلاتك
كهوف الليل في باريس..
قد قتلت مروءاتك
على أقدام مومسةٍ هناك..
دفنت ثاراتك
فبعت القدس..
بعت رماد أمواتك
كأن حراب إسرائيل لم تجهض شقيقاتك
ولم تهدم منازلنا..
ولم تحرق مصاحفنا
ولا راياتها ارتفعت على أشلاء راياتك
كأن جميع من صلبوا..
على الأشجار..
في يافا..
وفي حيفا..
وبئر السبع..
ليسوا من سلالاتك
تغوص القدس في دمها..
وأنت صريع شهواتك
تنام..
كأنما المأساة ليست بعض مأساتك
متى تفهم ؟
متى يستيقظ الإنسان في ذاتك ؟

الأسئلة:

حلل البنية الموسيقية لهذا النصّ الشعري من خلال التطرق إلى:

1- وزن (بحر) هذا النصّ الشعري.

2- طبيعة القافية في النص الشعري

3- يعتمد نزار قباني كثيرا على آلية التكرار في تأجيج الفاعلية الإيقاعية. وضّح ذلك.

4- تحدث عن تقنية التدوير.

التحليل:

1- حدّد وزن (بحر) هذا النصّ الشعري

وزن هذا النصّ الشعري هو ..... الوافر، وقد استعمله الشاعر بعدّه بحرا صافيا، حيث بنى قصيدته على تفعيلة واحدة هي تفعيلة (مفاعلتن) الّتي يدخلها العصب فتتحوّل إلى مفاعيلن.....

.....

2- القافية الّتي بُني عليها هذا المقطع الشعري:

..... إنّ الاهتمام الكبير الّذي يوليه نزار قبّاني للبنية الإيقاعية يجعل القافية تأخذ مركزا استقطابيا في نصوصه الشعرية، وهذا ما نلمسه جليا في قصيدة الحبّ والبترول، حيث كانت القافية البسيطة الموحدة المردوفة هي القافية الّتي بنى عليها الشاعر قصيدته، وكان للروي (الكاف) بوصفه صوتا منحبسا أثر كبير في إحداث خلخلة إيقاعية وجمالية زادت من شعرية النصّ. وقد حاول الشاعر أن يخفّف قليلا من رتابة هذه القافية الّتي قد تترك بعضا من الملل لدى المتلقّي من خلال كسر هذه الرتابة بتغيير هذا الروي الموحدة بروي آخر هو روي (الميم) الّذي لم يكن سوى جسرا إيقاعيا ينتقل فيه الشاعر من مقطع إلى آخر.

3- **يعتمد نزار قباني كثيرا على آلية التكرار في تأجيج الفاعلية الإيقاعية. وضّح ذلك.**

..... تتجلى داخل هذا النصّ الشعري العناية الكبيرة الّتي يوليها نزار قباني لآلية التكرار، بوصفها أحد أهمّ دواليب الشعرية المعاصرة، ويظهر ذلك عبر أشكال عدّة:

أ- **تكرار الحروف:** يعدّ هذا النوع من التكرار أحد أهم النماذج الإيقاعية الّتي يتجلّى فيها الإبداع الشعري. ولقد برز هذا التكرار بشكل واضح داخل هذا النّصّ الشعري، حيث نجد عددا من الحروف تتكرّر بشكل لافت أفضى إلى تأجيج البنية الإيقاعية. ولعل أكثر هذه الحروف تشظّيا:

☒ - **حرف الكاف**: اختار الشاعر هذا الحرف في بنية قافيته الموحدة، فتكرّر على طول القصيدة، ولم يكتف بذلك، وإنّما راح يكرّره في البنية الداخلية، مثلما تجلى ذلك في المقطع الثالث: بأنك لن تخدرني.. /بجاهك أو إماراتك/ ولن تتملك الدنيا../ بنفطك وامتيازاتك

وكذا المقطع: بنارك أو بجناتك /وأن كرامتي أكرم../ من الذهب المكدّس بين راحاتك/وأن مناخ أفكاري غريبٌ عن مناخاتك

☒ - **حرف التاء:** وشكّل هذا الحرف بنية القافية الموحّدة، وتكرّر أيضا في البنية الداخلية، كما هو في هذا المقطع: متى تفهم؟/ متى يا سيّدي تفهم؟/ بأني لست واحدةً كغيري من صديقاتك/ ولا فتحاً نسائياً يضاف إلى فتوحاتك.

☒ **حرف الميم**: إنّ هذا الحرف الّذي كان روي آخر داخل هذه القصيدة، تكرّر في بنيتها الداخلية بصورة ظاهرة كما هو في هذا المقطع: كما هو داخل هذا المقطع: وبئر السبع../ ليسوا من سلالاتك/ تغوص القدس في دمها../ وأنت صريع شهواتك/ تنام.. / كأنما المأساة ليست بعض مأساتك/ متى يستيقظ الإنسان في ذاتك؟

☒ **حرف السين والصاد:** تكرر هذا الحرفان بشكل واضح، كما هو داخل المقطع السابق: السبع/ ليسوا- سلالاتك- تغوص- القدس- صريع- المأساة- ليست- مأساتك- يستيقظ- الإنسان.

وقد لا يتّسع المقام للإشارة إلى الحروف المكرّرة داخل القصيدة ودورها في إغناء البنية الإيقاعية، ومن هذه الحروف حرف **الهمزة** الّذي أحدث بوصفه صوتا حادا منحبسا أثرا كبيرا داخل القصيدة. وفضلا عن الهمزة هناك حرف **الراء** و**الفاء** و**الحاء** و**الخاء**.

ب-**تكرار الكلمات والعبارات:** زاد إشعاع بعض الحروف إيقاعيا من خلال تكرار كلماتها وعباراتها، مثل تكرار عبارة **(متى تفهم)** مرات، ومرّات أخرى كلمة**(تفهم)**، وكذا تكرار **(بعت)**، و **(يا من)**، و**(في)**. وقد كان لهذا تكرار دور هام في تأكيد بعض الدلالات الّتي كان يروم الشاعر إيصالها.

4- **التدوير**:

.....لم يعتمد نزار قبّاني على تقنية التدوير في بناء نصّه الشعري بشكل كبير، وذلك لأنّه ركّز كثيرا على إغناء البنية الإيقاعية من خلال اهتمامه اللافت بنظام القافية، ولا سيّما القافية الموحّدة. فلم يكن التدوير إلاّ في بعض الموضع، وهو تدوير جملي فحسب كما هم ظاهر في هذا الجدول:

أيأ متشقْ/ قِقَلْقدميْ/ ن مفاعلتن / مفاعلتن / م ياعبْدنْ / فعالاتكْ فاعيلن / مفاعيلن	كهوْفلْليْ/ لفيْباريْ / س فاعيلن / مفاعيلن / م قدْقتلتْ/ مروْءاتكْ فاعيلن / مفاعيلن	وبئْرسْسبْ/ ع مفاعيلن / م ليْسوْمن/ سلاْلاْتكْ فاعيلن / مفاعيلن
تمرْرغْياْ / أميْرْنْنفْ / ط مفاعلتن / مفاعيلن/ م فوْقوحوْ/ للذْذاتكْ فاعلتن / مفاعيلن	فبعْتلقدْ/ س مفاعيلن / م بعْترماْ/ دأموْاتكْ فاعلتن / مفاعيلن	تنام مفاع كأنْ/ نملْمأْسا/ ةليستبعْ/ ضمأْساْتكْ لتن/ مفاعيلن/ مفاعيلن/ مفاعيلن
لكلْبئْرْ /ل مفاعيلن/ م فعْصرْه / علىْ قدمي/خليْلاْتكْ فاعيلن / مفاعلتن / مفاعيلن	عللْأشْجا / ر مفاعيلن / م فيْ يأفاْ عيلن	